

مختصر ابن كثير

- 55 - إذ قال اﷻ يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون .
- 56 - فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين .
- 57 - وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم و اﷻ لا يحب الظالمين .
- 58 - ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم .
- اختلف المفسرون في قوله تعالى : { إني متوفيك ورافعك إلي } فقال قتادة : هذا من المقدم والمؤخر تقديره إني رافعك إلي ومتوفيك يعني بعد ذلك . وقال ابن عباس : إني متوفيك أي مميتك وقال وهب بن منبه : توفاه اﷻ ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه قال مطر الوراق : إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت وكذا قال ابن جرير : توفيه هو رفعه . وقال الأكثرون : المراد بالوفاة ههنا النوم كما قال تعالى : { وهو الذي يتوفاكم بالليل } الآية وقال تعالى : { اﷻ يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها } الآية وكان رسول اﷻ صلى اﷻ عليه وسلّم يقول إذا قام من النوم : " الحمد اﷻ الذي أحيانا بعد ما أماتنا " الحديث . وعن الحسن أنه قال في قوله تعالى : { إني متوفيك } يعني وفاة المنام : رفعه اﷻ في منامه . وقوله تعالى : { ومطهرك من الذين كفروا } أي برفعي إياك إلى السماء { وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة } وهكذا وقع فإن المسيح عليه السلام لما رفعه اﷻ إلى السماء تفرقت أصحابه شيعا بعده فمنهم من آمن بما بعثه اﷻ به على أنه عبد اﷻ ورسوله وابن أمته ومنهم من غلا فيه فجعله ابن اﷻ وآخرون قالوا : هو اﷻ وآخرون قالوا : هو ثالث ثلاثة وقد حكى اﷻ مقالتهم في القرآن ورد على كل فريق فاستمروا على ذلك قريبا من ثلثمائة سنة .
- ثم نبغ لهم ملك من ملوك اليونان يقال له (قسطنطين) فدخل في دين النصرانية قيل : حيلة ليفسده فإنه كان فيلسوفا وقيل : جهلا منه إلا أنه بدل لهم دين المسيح وحرفه وزاد فيه نقص منه ووضعت له القوانين والأمانة الكبرى التي هي الخيانة الحقيرة وأحل في زمانه لحم الخنزير وصلوا له إلى المشرق وصوروا له الكنائس والمعابد والصوامع وزاد في صياهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون وصار دين المسيح (دين قسطنطين) إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثنتي عشر ألف معبد وبنى المدينة المنسوبة إليه واتبعه طائفة الملكية منهم وهم في هذا كله قاهرون لليهود أيده

اﻥ ﻋﻠﯿﻬﻢ ﻻﻧﻪ ﺃﻗﺮﺏ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺤﻖ ﻣﻨﻬﻢ ﻭﺇﻥ ﻛﺎﻥ ﺍﻟﺠﻤﯿﻊ ﻛﻔﺎﺭﺍ ﻋﻠﯿﻬﻢ ﻟﻌﺎﺋﻦ ﺍﻥ ﻓﻠﻤﺎ ﺑﻌﺚ ﺍﻥ ﻣﺤﻤﺪﺍ ﻓﻜﺎﻥ ﻣﻦ ﺃﻣﻦ ﺑﻪ ﻳﺆﻣﻦ ﺑﺎﻥ ﻭﻣﻼﺋﻜﺘﻪ ﻭﻛﺘﺒﻪ ﻭﺭﺳﻠﻪ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﻮﺟﻪ ﺍﻟﺤﻖ ﻓﻜﺎﻧﻮﺍ ﻫﻢ ﺃﺗﺒﺎﻉ ﻛﻞ ﻧﺒﻲ ﻋﻠﻰ ﻭﺟﻪ ﺍﻟﺄﺭﻅ ﺇﺫ ﻗﺪ ﺻﺪﻗﻮﺍ ﺍﻟﻨﺒﻲ ﺍﻟﺄﻣﻲ ﺍﻟﻌﺮﺑﻲ ﺧﺎﺗﻢ ﺍﻟﺮﺳﻞ ﻭﺳﻴﺪ ﻭﻟﺪ ﺃﺩﻡ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺒﻼﻍ ﺍﻟﺬﻯ ﺩﻋﺎﻫﻢ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺘﺼﺪﻳﻖ ﺑﺠﻤﯿﻊ ﺍﻟﺤﻖ ﻓﻜﺎﻧﻮﺍ ﺃﻭﻟﻰ ﺑﻜﻞ ﻧﺒﻲ ﻣﻦ ﺃﻣﺘﻪ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻳﺰﻋﻤﻮﻥ ﺃﻧﻬﻢ ﻋﻠﻰ ﻣﻠﺘﻪ ﻭﭘﺮﻳﻘﺘﻪ ﻣﻤﺎ ﻗﺪ ﺣﺮﻓﻮﺍ ﻭﺑﺪﻟﻮﺍ ﺗﻢ ﻟﻮ ﻟﻢ ﻳﻜﻦ ﺷﻴﺌﻰ ﻣﻦ ﺫﻟﻚ ﻟﻜﺎﻥ ﻗﺪ ﻧﺴﺦ ﺍﻥ ﺷﺮﻳﻌﺔ ﺟﻤﯿﻊ ﺍﻟﺮﺳﻞ ﺑﻤﺎ ﺑﻌﺚ ﺍﻥ ﺑﻪ ﻣﺤﻤﺪﺍ ﺻﻠﻰ ﺍﻥ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻣﻦ ﺍﻟﺪﻳﻦ ﺍﻟﺤﻖ ﺍﻟﺬﻯ ﻻ ﻳﻐﻴﺮ ﻭﻻ ﻳﺒﺪﻝ ﺇﻟﻰ ﻗﻴﺎﻡ ﺍﻟﺴﺎﻋﺔ ﻭﻻ ﻳﺰﺍﻝ ﻗﺎﺋﻤﺎ ﻣﻨﺼﻮﺭﺍ ﻇﺎﻫﺮﺍ ﻋﻠﻰ ﻛﻞ ﺩﻳﻦ ﻓﻠﻬﺬﺍ ﻓﺘﺢ ﺍﻥ ﻟﺄﺻﺤﺎﺑﻪ ﻣﺸﺎﺭﻕ ﺍﻟﺄﺭﻅ ﻭﻣﻐﺎﺭﺑﻬﺎ ﻭﺍﺣﺘﺎﺯﻭﺍ ﺟﻤﯿﻊ ﺍﻟﻤﻤﺎﻟﻚ ﻭﺩﺍﻧﺖ ﻟﻬﻢ ﺟﻤﯿﻊ ﺍﻟﺪﻭﻝ ﻭﻛﺴﺮﻭﺍ ﻛﺴﺮﻯ ﻭﻗﺴﺮﻭﺍ ﻗﻴﺴﺮ ﻭﺳﻠﺒﻮﻫﻤﺎ ﻛﻨﻮﺯﻫﻤﺎ ﻭﺃﻧﻔﻘﺖ ﻓﻲ ﺳﺒﻴﻞ ﺍﻥ ﻛﻤﺎ ﺃﺧﺒﺮﻫﻢ ﺑﺫﻟﻚ ﻧﺒﻴﻬﻢ ﻋﻦ ﺭﺑﻬﻢ ﺩ ﻓﻲ ﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﻋﺪ ﺍﻥ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﻣﻨﻜﻢ ﻭﻋﻤﻠﻮﺍ ﺍﻟﺼﺎﻟﺤﺎﺕ ﻟﻴﺴﺘﺨﻠﻔﻬﻢ ﻓﻲ ﺍﻟﺄﺭﻅ ﻛﻤﺎ ﺍﺳﺘﺨﻠﻒ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻣﻦ ﻗﺒﻠﻬﻢ ﻭﻟﻴﻤﻜﻨﻦ ﻟﻬﻢ ﺩﻳﻨﻬﻢ ﺍﻟﺬﻯ ﺍﺭﺗﻀﻰ ﻟﻬﻢ ﻭﻟﻴﺒﺪﻟﻨﻬﻢ ﻣﻦ ﺑﻌﺪ ﺧﻮﻓﻬﻢ ﺃﻣﻨﺎ ﻳﻌﺒﺪﻭﻧﻨﻲ ﻻ ﻳﺸﺮﻛﻮﻥ ﺑﻲ ﺷﻴﺌﺎ } ﺍﻻﻳﺔ . ﻓﻠﻬﺬﺍ ﻟﻤﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻫﻢ ﺍﻟﻤﺆﻣﻨﻴﻦ ﺑﺎﻟﻤﺴﻴﺢ ﺣﻘﺎ ﺳﻠﺒﻮﺍ ﺍﻟﻨﺼﺎﺭﻯ ﺑﻼﺩ ﺍﻟﺸﺎﻡ ﻭﺍﻟﺠﻮﻭﻫﻢ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺮﻭﻡ ﻓﻠﺠﺂﻭﺍ ﺇﻟﻰ ﻣﺪﻳﻨﺘﻬﻢ ﺍﻟﻘﺴﻨﻄﻨﻴﻨﻴﺔ ﻭﻻ ﻳﺰﺍﻝ ﺍﻟﺒﻼﻍ ﻭﺃﻫﻠﻪ ﻓﻮﻗﻬﻢ ﺇﻟﻰ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﻘﻴﺎﻣﺔ .

ﻭﻗﺪ ﺃﺧﺒﺮ ﺍﻟﺼﺎﺩﻕ ﺍﻟﻤﺼﺪﻭﻕ ﺻﻠﻰ ﺍﻥ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﺃﻣﺘﻪ ﺑﺂﻥ ﺃﺧﺮﻫﻢ ﺳﻴﻔﺘﺤﻮﻥ ﺍﻟﻘﺴﻨﻄﻨﻴﻨﻴﺔ ﻭﻳﺴﺘﻔﻴﺌﻮﻥ ﻣﺎ ﻓﻴﻬﺎ ﻣﻦ ﺍﻟﺄﻣﻮﺍﻝ ﻭﻳﻘﺘﻠﻮﻥ ﺍﻟﺮﻭﻡ ﻣﻘﺘﻠﺔ ﻋﻈﻴﻤﺔ ﺟﺪﺍ ﻟﻢ ﻳﺮ ﺍﻟﻨﺎﺱ ﻣﺜﻠﻬﺎ ﻭﻻ ﻳﺮﻭﻥ ﺑﻌﺪﻫﺎ ﻧﻈﻴﺮﻫﺎ ﻭﻗﺪ ﺟﻤﻌﺖ ﻓﻲ ﻫﺬﺍ ﺟﺰﺀﺍ ﻣﻐﺮﺑﺎ ﻭﻟﻬﺬﺍ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﻭﺟﺎﻋﻞ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺍﺗﺒﻌﻮﻙ ﻓﻮﻕ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻛﻔﺮﻭﺍ ﺇﻟﻰ ﻳﻮﻡ ﺍﻟﻘﻴﺎﻣﺔ ﺗﻢ ﺇﻟﻰ ﻣﺮﺟﻌﻜﻢ ﻓﺄﺣﻜﻢ ﺑﻴﻨﻜﻢ ﻓﻴﻤﺎ ﻛﻨﺘﻢ ﻓﻴﻪ ﺗﺨﺘﻠﻔﻮﻥ ... ﻓﺂﻣﺎ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻛﻔﺮﻭﺍ ﻓﺄﻋﺬﺑﻬﻢ ﻋﺬﺍﺑﺎ ﺷﺪﻳﺪﺍ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻭﺍﻻﺧﺮﺓ ﻭﻣﺎ ﻟﻬﻢ ﻣﻦ ﻧﺎﺻﺮﻳﻦ } ﻭﻛﺬﻟﻚ ﻓﻌﻞ ﺑﻤﻦ ﻛﻔﺮ ﺑﺎﻟﻤﺴﻴﺢ ﻣﻦ ﺍﻟﻴﻬﻮﺩ ﺃﻭ ﻏﻼ ﻓﻴﻪ ﺃﻭ ﺃﻃﺮﺍﻩ ﻣﻦ ﺍﻟﻨﺼﺎﺭﻯ ﻋﺬﺑﻬﻢ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﺑﺎﻟﻘﺘﻞ ﻭﺍﻟﺴﺒﻲ ﻭﺍﺧﺬ ﺍﻟﺄﻣﻮﺍﻝ ﻭﺇﺯﺍﻟﺔ ﺍﻟﺄﻳﺪﻯ ﻋﻦ ﺍﻟﻤﻤﺎﻟﻚ ﻭﻓﻲ ﺍﻟﺪﺍﺭ ﺍﻻﺧﺮﺓ ﻋﺬﺑﻬﻢ ﺃﺷﺪ ﻭﺃﺷﻖ } ﻭﻣﺎ ﻟﻬﻢ ﻣﻦ ﺍﻥ ﻣﻦ ﻭﺍﻕ } { ﻭﺃﻣﺎ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺃﻣﻨﻮﺍ ﻭﻋﻤﻠﻮﺍ ﺍﻟﺼﺎﻟﺤﺎﺕ ﻓﻴﻮﻓﻴﻬﻢ ﺃﺟﻮﺭﻫﻢ } ﺃﻱ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻭﺍﻻﺧﺮﺓ ﻓﻲ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﺑﺎﻟﻨﺼﺮ ﻭﺍﻟﻄﻔﺮ ﻭﻓﻲ ﺍﻻﺧﺮﺓ ﺑﺎﻟﺠﻨﺎﺕ ﺍﻟﻌﺎﻟﻴﺎﺕ } ﻭﺍﻥ ﻻ ﻳﺤﺐ ﺍﻟﻈﺎﻟﻤﻴﻦ } . ﺗﻢ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﺫﻟﻚ ﻧﺘﻠﻮﻩ ﻋﻠﻴﻚ ﻣﻦ ﺍﻻﻳﺎﺕ ﻭﺍﻟﺬﻛﺮ ﺍﻟﺤﻜﻴﻢ } ﺃﻱ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺬﻯ ﻗﺼﻨﺎ ﻋﻠﻴﻚ ﻳﺎ ﻣﺤﻤﺪ ﻓﻲ ﺃﻣﺮ ﻋﻴﺴﻰ ﻭﻣﺒﺪﺃ ﻣﻴﻼﺩﻩ ﻭﻛﻴﻔﻴﺔ ﺃﻣﺮﻩ ﻫﻮ ﻣﻤﺎ ﻗﺎﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺃﻭﺣﺎﻩ ﺇﻟﻴﻚ ﻭﻧﺰﻟﻪ ﻋﻠﻴﻚ ﻣﻦ ﺍﻟﻠﻮﺡ ﺍﻟﻤﺤﻔﻮﻅ ﻓﻼ ﻣﺮﻳﺔ ﻓﻴﻪ ﻭﻻ ﺷﻚ ﻛﻤﺎ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻓﻲ ﺳﻮﺭﺓ ﻣﺮﻳﻢ : { ﺫﻟﻚ ﻋﻴﺴﻰ ﺑﻦ ﻣﺮﻳﻢ ﻗﻮﻝ ﺍﻟﺤﻖ ﺍﻟﺬﻯ ﻓﻴﻪ ﻳﻤﺘﺮﻭﻥ ... ﻣﺎ ﻛﺎﻥ ﺍﻥ ﻳﺘﺨﺬ ﻣﻦ ﻭﻟﺪ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺇﺫﺍ ﻗﺼﻰ ﺃﻣﺮﺍ ﻓﺈﻧﻤﺎ ﻳﻘﻮﻝ ﻟﻪ ﻛﻦ ﻓﻴﻜﻮﻥ } ﻭﻫﻨﺎ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ :